إرث وحاضر الكتاب في مدينة الحلة

احمد الناجي

في البدء كانت الكلمة

حفل تاريخ البشرية بتحولات معرفية عديدة، كانت معطياتها التراكمية بمثابة ابداعات للفكر الانساني، ساهمت بصورة فاعلة في انتاج نقلات نوعية على طريق تطور وتقدم الحضارة، فكان اختراع الكتابة منجزاً مؤثراً مازالت معطياته متألقة في العالم، لما لها من اثر بالغ في منجزات البشرية المتعاقبة وعن ذلك يقول ديورانت في كتابه قصة الحضارة ما معناه، ان تطور الكتابة خلق الحضارة خلقاً لانها هيأت وسيلة تسجيل المعرفة وقامت بنقلها.

احتضن العراق حضارة ينسب اليها ظهور الكتابة على الاختام الاسطوانية، وعثر على اولى الكتابات السومرية في مدينة لجش وقسم قليل منها وجد في مدينة نفر واور وادب، وتطورت في مدينة الوركاء.

ويعد ظهور الكتاب من الاختراعات المهمة في تاريخ الحضارة الانسانية، فهو وسيلة المعرفة لحفز تراث الشعوب والابداع الانساني والمعلومة المعرفية، ذاكرة تضفي نمطاً متجدداً من التقارب بين الشعوب ساعدت على تقوية روابط المثاقفة والتماس بين الحضارات المتنوعة، وعلى مد جسور التواصل الثقافي والمعرفي، وهيأت فضاءات منفتحة تجلت واضحة امام الانظار في ما توصل اليه الانسان من مديات متقدمة في العلم والفكر والثقافة ، وهي بذلك حافظت على نتاج البشرية في مختلف المجالات الثقافية والدين والاداب والقوانين والعقائد والطقوس والانظمة الثقافية والمنجزات الاخرى المتعلقة بعمل الانسان، وناقلتها كإرث حضاري على مر العصور والازمان، وساعدت في الوقت نفسه على تلاقح حضارات وثقافات الشعوب المختلفة.

نحن ما نقرأه

يقف الكتاب في مقدمة وسائل ومقومات نشر الثقافة والفكر، ويغدو على مر الزمن وبالاخص في الاجواء المفعمة بالحرية عنصراً فاعلاً في تشكيل المنظومات القيمية لاي مجتمع ، ذلك ما اجده متناغماً مع تصورات القاص المبدع ابراهيم اصلان التي اوجزها بمقاله (نحن ما نقرأه)، ومدلول ذلك العنوان يحمل الكثير من المعاني، ويختصر علينا المسافات والكلام لفهم دور الكتاب في اغناء الحقول الثقافية والفكرية، وانعكاساته على الحياة العامة، من هنا نتوسم بالمناخات الجديدة ان تفضي الى بدايات حراك ثقافي تساعد على انتشار الكتاب واشاعة افاق رحبة للمثقف الذي عاش مخاطر الزمن الغابر لمجرد تطلعه الى ما يجري في العالم بمجال الابداع وجمالياته والفكر وحاجات العقل البشري.

الكتاب في مدينة الحلة

في محاولة لمعرفة عالم الكتاب في مدينة الحلة التي عرفت منذ بداية تمصيرها اواخر القرن الخامس الهجري بأنها مدينة الشعر والشعراء وامتازت بأفقها المتفتح على المعارف والاداب، وباحتضانها للعلم والادب وللعلماء والمفكرين والادباء، واشارت معظم المصادر التاريخية الى ان مكتبة مؤسس مدينة الحلة الامير سيف الدولة صدقة المزيدي تحتوي على الاف المجلدات وكانت الحلة في عهده من ارقى المدن الاسلامية من الناحيتين العلمية والادبية، وتميزت على مدار اربعة قرون بكونها المركز الديني والعلمي، والحليون ورثة مجد بابل، اعراف متأصلة في الاهتمام بالثقافة والكتاب تناقلوها على مر الازمنة، وهنالك من يشير الى ان الحلة خلال الغزو المغولي لمدينة بغداد تفردت بدور ثقافي كبير عندما تسلمت معظم مكتبات بغداد المنكوبة وما فيها من نفائس علمية وفكرية وادبية عبر عمليات المقايضة بالمواد الغذائية في ذاك الزمن المجدب، وظلت الثقافة سمة مميزة لهذه المدينة التي اشتهرت في تاريخنا المعاصر ومنذ بدايات القرن الماضي، بكثرة المكتبات العامة غير الرسمية فيها العامرة بالاف الكتب التي تغطي موضوعاتها مختلف العلوم والاختصاصات العلمية والادبية، فكانت بحق واحدة من المنابع الثقافية المتجددة لابناء المدينة، مثلما كانت في الحلة ايضاً العديد من المكتبات الاهلية المهتمة بنشر الكتاب والمعرفة، ومن اقدمها مكتبة الفرات التي ادرجت في الدليل التجاري لبلاد الشرق الصادر في بيروت سنة ١٩٣٦، وذكر اسم مؤسسها عباس السعيد، عام ١٩٢٥، ومكتبة المعارف عام ١٩٣٠ ومكتبة الرافدين عام ١٩٥٣، وقد ساهمت هذه المكتبات بدور كبير في رفد الحياة الثقافية لفترة طويلة الى حين بدات الظلمة تسود على العراق، وعلى الاجواء الثقافية العامة في منتصف السبعينيات عندما تم افراغها تدريجياً من محتواها الحقيقي بهيمنة التسلط وسن الممنوعات ومصادرة الراي الاخر وسيادة الثقافة الاحادية فأغلقت المكتبات العامة، ولم تعد قائمة غير المكتبات الرسمية الخاضعة لاعراف الاحتواء والاستلاب الفكري ، وتدريجياً تقوض نشاط المكتبات الاهلية فتحولت معظمها الى بيع القرطاسية ولعل ما طرأ من تغييرات بعد انهيار النظام ونهاية الصنم في مجال الحريات الاساسية يشكل بداية ازدهار لتداول الكتب والمجلات والمطبوعات.

يبقى الكتاب على رأس التداول المعرفي

في بداية جولتنا هذه توجهنا الى مكتبة الفرات وقال الاستاذ صلاح مهدي السعيد حفيد مؤسسها وهو اديب ومترجم عن اثر الحريات المتاحة على تداول الكتاب ، هنالك اثر واضح للحرية التي تحققت بعد سقوط النظام الدكتاتوري فلم يعد الممنوع قائماً وما يتم تداوله الان في الاسواق يؤشر تلك الحالة التي افتقدناها لعقود طويلة من الظلام والممنوعات، ورغم ذلك فإن تداول الكتاب ليس بمستوى الطموح ولربما كان لوسائل الاعلام الاخرى تاثير على ذلك، لكن الكتاب يبقى على راس التداول المعرفي وسبب الانحسار خلال العقود الثلاثة هو الجهل وعدم الاهتمام بالثقافة عموماً في مجتمعنا الذي يعاني من التخلف والامية الثقافية، فاهتمامات الناس في الوقت الحاضر تنصب على الملبس والمأكل اكثر من الاهتمام باقتناء الكتاب وانشاء مكتبة بيتية صغيرة تلك الفعالية الثقافية كانت جزءاً من اهتماماتهم، ولعل اسعار الكتب المرتفعة حالياً تشكل عائقاً اضافياً امام عملية الشراء.

الكتب الاسلامية والسياسية الاكثر مبيعاً

وقال عن الكتب الاكثر مبيعاً الوقت الحاضر، الكتب الاسلامية والسياسية وكتب الرواج السريع والرخيص مثل الابراج والحظ والاحلام والماكياج وفن الطبخ، لكن نستثني من هذه الانواع القران الكريم والقواميس فهي مطلوبة دائماً ولا تخضع لزمان معين، وشخص بأن النساء اكثر اقبالاً على الشراء اما الشباب فإن اقبالهم على الكتب ضعيف جداً وتبقى الشريحة المثقفة مهتمة بالمطبوع وتتابع الاصدرات ولا تخضع لهذا القياس.

وحول ظاهرة الكتب المستنسخة يرى بأن هذه الظاهرة سوف تنحسر تدريجياً بعد ورود الكتب من مصادرها التي كانت ممنوعة على القارئ وبدأت المطابع حتى في العراق الان تطبع الكثير من الكتب مثل كتب الدكتور علي الوردي وغيرها.

وقال عن موضوع اعارة الكتاب مقابل ثمن بادر جدي الى توفير الكتاب للقارئ عن طريق اعارته مقابل ثمن زهيد في ثلاثينيات القرن المنصرم وبهذا وفر الكتاب للكثير من الذين لا يستطيعون الشراء ولديهم رغبة في المطالعة ، وساهم بهذه الطريقة خلق جيل وطيف من القراء وعشاق الكتاب وهذه الظاهرة ملفتة للانتباه حقاً، ليس لانه جدي صاحب المكتبة بل لان الظاهرة برمتها تستحق التقدير والاعجاب، واظن ان هناك بضع مكتبات الان توفر الكتاب عن طريق الاستعارة في مدينة الحلة. واختتم حديثه بالتطلعات المشروعة لخلق جيل من قراء الكتب من خلال الجهود المشتركة للجهات المعنية والمؤسسات التربوية واساتذة اللغة العربية لاشاعة تداول الكتاب وتشجيع الطلاب على القراءة والاهتمام بالمكتبة المدرسية.

فضاء الحرية شجع اصحاب المكتبات على رفد مكتباتهم

بدأ السيد عبد الله الحسيني مدرس وصاحب مكتبة حديثه عن مستجدات الاوضاع في عالم تداول الكتاب قائلاً: فضاء الحرية شجع اصحاب المكتبات على رفد مكتباتهم بوافر من الكتب التي كانت ممنوعة ونادرة، مما انعشت الحركة الثقافية في المدينة بشكل كبير، واغنت القارئ بعناوين كتب متنوعة، لكن الاقبال على شراء الكتب ضعيف ومقتصر على بعض طلاب الجامعة الذين يبحثون عن مصادر معينة، وبعض المهتمين الذين لا يهمهم سعر الكتاب مهما ارتفع، المهم عند اولئك ان يجدوا ضالتهم المنشودة، واضاف قائلاً: اشعر بسعادة غامرة لانتشار الكتاب في الوقت الحاضر لسبب خاص حتى يزداد بيع الكتب ، ولسبب عام هو ازدياد حركة الناس على طلب العلم والنهل من كنوز المعرفة.

وعن الكتب المستنسخة، حدثنا السيد عبد الله عن كونها نتاج حاجة في ظرف معين، وهي طريقة ذات منفعة لكل الاطراف، فالبائع يقوم باستنساخ الكتب المطلوبة، والقارئ يجدها متوفرة وبسعر اقل ذلك ما مكن من توفير الكتب النادرة وما كان بالامكان توفيرها لولا اللجوء الى هذه الطريقة في السنين التي تعذر فيها على القارئ الحصول على ما يريد من الكتب بأسعار مقبولة بسبب الحصار وعدم وجود منافذ لدخول الكتاب.

ظاهرة اعارة الكتب من اجمل واروع الافكار

وعن ظاهرة اعارة الكتب والمجلات مقابل ثمن فان، السيد عبد الله قد وظف مكتبته وجهده لخدمة هذا الجانب في وقت الحصار العصيب، وقال ان ظاهرة اعارة الكتب من اجمل واروع الافكار التي ظهرت في الظروف الصعبة الماضية، وهي مستمرة حتى الان مشجعة القارئ على ارتياد المكتبات ومتابعة الاصدارات الجديدة، ولا تنتهك ميزانيته وتعطيه فرصة اختيار الكتاب من عدمها بعد قراءته وبواسطة هذه الطريقة وصل الكتاب الى اعداد غفيرة من القراء.

واضاف: رغم كل ما افرزته ظروف الحصار الا ان المهتمين في مجال الفكر والمعرفة لم يقنطوا ويستكينوا بل استنبطوا طرائق عديدة للتواصل مع العالم الخارجي فقد كنت اذهب اسبوعيا كل يوم جمعة الى بغداد لغرض التسوق من شارع المتنبي الشهير محاولاً جلب كل ماهو جديد ونادر، وما اقدر عليه من كتب دينية وسياسية وموسوعات ومجلات سياسية وفنية ورياضية وكل ما يخص مجال الكمبيوتر سواء كتب ام مجلات ام اقراص مدمجة، واكثر ما كان يفرحني ويزيل عني عناء ومجهود السفر حينما اجد الزبائن ينتظرون قدومي من بغداد مجتمعين بجانب مكتبتي ، فتكبر الفرحة بدواخلي حينما اراها تشع على وجوههم ايضاً بعد اقتناء ما جاؤا من اجله.

وعلى مر الايام والسنين توثقت علاقتي بالزبائن وكونت صداقات مع الكثير منهم ومن مختلف شرائح المجتمع الحلي من اساتذة واطباء ومثقفين وطلاب، وحتى الاطفال فقد كنت اجلب لهم ما هو في مستواهم وما يهتمون به. وعن الاسعار المستوفاة من القارئ لقاء عملية استعارة الكتب والمجلات، قال ان الاسعار زهيدة قياساً بمردودها في كسر حاجز العزلة والاقتراب من فضاءات المعارف ، فمقابل ٢٥٠ دينار تتم اعارة الكتاب او المجلة لمدة ثلاثة ايام يستطيع القارئ خلالها ان يقرأ ويلخص وينتفع مقابل هذا الأجر الزهيد الذي مازال حتى الان على ما هو عليه.

وفي ختام حديثه تقدم بمقترحات مناسبة لدعم انتشار الكتاب واشاعة المعرفة من خلاله في اوساط المدينة، اقامة معارض دورية وتهيئة منفذ لتوفير الكتب بأسعار مدعومة كما يمكن للجامعة ان تلعب دوراً كبيراً في هذا الشأن بالنظر لامكانيتها المتاحة ولكونها مؤسسة تحتضن اعداد كبيرة من الطلبة يحتاجون للكتاب غير المنهجي دائماً، مثلما اكد على تطلعه الى ان يأخذ اصحاب دور النشر والمطابع دورهم في تأمين الكتب والمطبوعات.

اسعار الكتب الاصلية مرتفعة

قال السيد حيدر فاضل نجم/ مكتبة ابن خلدون، ان الحرية اثرت على تداول الكتاب وانتشاره ونراها في تنوع الكتب المعروضة في مكتبتي وجميعها كتب حديثة كانت من الممنوعات، مشيراً الى ان هنالك افضلية واضحة تحققت في هذا المجال على الرغم من كونها ليست بمستوى الطموح بسبب اسعار الكتب الاصلية، وعدم استتباب الامن وغياب الاستقرار كلها تؤثر على عمل المؤسسات الثقافية وتضاعف مخاوف القطاع الخاص الناشط في هذا الميدان في الفترة الحالية، ويرى ان دور الجامعات في الوقت الحاضر غير فعال في توجيه الطلبة للبحث والاطلاع خارج الكتب المنهجية.

خير جليس في الزمان كتاب

وقال لنا ثائر هادي جبارة/ صاحب مكتبة لتجليد الكتب وفنان عن هواجسه ومعاناته بحكم تماسه المباشر مع عالم الكتاب: لقد كنا مقيدين في ايام النظام البائد، فهو على الرغم من سطوته وجبروته كان يخاف من من نوعين من الكتب هما الديني والشيوعي، ولا يمكن وصف الحرية التي ننعم بها الان كنا نعاني من المخاطر فلا نستطيع تجليد الكتب الدينية او سجلات الدوائر او دفاتر الخدمة او كتب الجامعة حتى انني اعتقلت بسبب تجليد القران الكريم المطبوع في ايران، اما بخصوص انتشار الكتاب ومديات تداوله فقال ان الكتب الاسلامية هي الاكثر تداولاً ومن ثم كتب السحر والشعوذة ولكن هنالك كتب مطلوبة دائماً ومنها على سبيل المثال التي تفضح النظام السابق وكتب حنا بطاطو وكتب علي الوردي وذكرياتي للجواهري وكتب السير. وعن ضعف الاقبال على اقتناء الكتاب قال ان الاسعار ليست العائق الرئيس في هذا الانحسار الذي نتلمسه اليوم، بل الفراغ الذهني الكبير الذي جنح بفئات المجتمع مع كل الاسف للتوجه الى اشياء اخرى غير الثقافة اضافة الى ان هنالك تأثيرات اخرى الى حد ما كانتشار الاقراص المدمجة والكتاب الالكتروني، وضعف الجامعات بخصوص دعم الثقافة ولكن مع هذا يبقى كما قال المتنبي: " وخير جليس في الزمان كتاب".

نخلص مما تقدم من جميع الآراء والملاحظات التي ادلى بها البعض من العاملين بالشأن الثقافي وهم على قرب من عالم الكتاب في مدينة الحلة الى ان الحياة بدأت تدب في هذا المرفق الثقافي الحيوي، ليس في الحلة فقط بل في العراق عموماً وان كانت بداية الازدهار لتداول الكتاب تبدو بطيئة الا ان الآفاق القادمة رحبة وقادرة على محو كل ما ترتب من اثار ثقافة التهليل والتطبيل واثار السجون الفكرية والوصاية على العقول وتغييب الوعي وبالاخص بعدما تزامن ذلك كله مع ما يشهده العالم من تقينات في ثورة الاتصالات والمعلوماتية اقتربت شظايا هذا الانفجار المعلوماتي مبتكرات وتقينات في متناول كل انسان ادرك الزمان الرقمي، لا سيما بعد ان اضاف الانترنت زخماً لدفق المعلومة في كل الاتجاهات والاماكن ناشراً الكتاب وسيلة تلك المعلومة الى مساحات شاسعة يسرت تواصله مع ابناء القرية الكونية، واتاحت للكتاب فرصة كسر ما فرض عليه من اطواق العزلة والانكفاء يطوف العالم بنسق جديد صار يطلق عليه اليوم الكتاب الالكتروني نافضاً عن كاهله في هذا الفضاء الرحب ما يترتب من اعباء للناشر وللرقيب ليصل في النهاية الى المتلقي بسرعة مذهلة وسهولة متناهية.

ثلاث نساء لبنانيات خلعن قلبي

إلى عناية جابر .جمانة حداد وهيفاء وهبي

موسى حوامدة

لن أتمكن من تقديم الورود الحمر لكن يوم عيد الحب .اليوم الذي يعيش فيه العشاق الحقيقيون أسوأ أيامهم .لأنهم لا يستطيعون تقديم الورد لمن يحبون .من يجرؤ على أن يحمل الأحمر للتي يعشق أمام أولئك النسوة اللواتي يلتصقن به حد الطهارة والقداسة .ولا يجرؤ على أن يقول لهن ؛ إنني أحب عناية جابر. أحب روعتها وطيبتها. جمالها وجهها .كلامها كتابتها غناءها وشعرها .أحب لون عينيها .لهجتها طريقة مداعبتها رقتها سحرها وفتنتها المثقلة بالتاريخ والمطوقة بالحنين للكتب وللمحبين الحقيقيين في (مصارع العشاق) ومجالس الأدب ونوافذ الكلام وفضاءات القصيدة .

أحب خفة الكائن فيك .حنانَك الفائضَ. جديلتك المصفرة .وطنيتَك وعروبتك .الواسعة الأرجاء الرحبة العميقة الملتصقة. بطين الأرض الذاهبة حد شواطئ فلسطين .ومدنها التي لم يعد أحد يجرؤ على النطق بأسمائها .وتلمس أزقة مخيماتها التي صارت عبئا على الشقيق والصديق وحتى الحلم القابل للإنطواء .

أحمل وردة حمراء ثانية لجمانة حداد .الشاعرة الساحرة الفراشة التي تفاجئك مقتربة من نار الشعر. حد الإحتراق لكنك تدهش أكثر وانت تراها تحلق بجناحي قصيدة جديدة.مثل طائر الفينيق. أو تنهض من رماد الصحافة وفضاء الترجمة .وروتين العمل الصحفي وواجبات الأسرة .لتراها تسافر في طائرة بعيدة عابرة للقارات ذاهبة نحو أحد أدباء العالم الكبار . الذين لأول مرة يجدون امرأة عربية مثقفة واعية مدربة قارئة. تحاورهم وتضع أصابعهم وكتبهم في رفوف عربية مزينة بالرغبة في الحرية والانطلاق من الخرافات والجهل والقوقعة وأسر الماضي .

أحمل وردة لك يا جمانة في هذا اليوم وأغبط الياس خوري وعقل العويط وزملاءك في النهار .وزوجك ونجليك ووالديك وشقيقك. فأنت ملاك الشعر القادم من سلاسة اللغة ومن بساطة الكلمة الذاهبة في الجرأة حد تفجير المشاعر والمواقف وإعادة التفكير بحق المرأة العربية في البوح والقول والتخيل والنطق والفعل .وفي حق العاشقات في فك إزار الليل. وخلع قميص الخوف والجهل .وارتداء أجمل الثياب والتحلي بأبهى الإكسسوارات وسماع أعذب كلمات الغزل والدلع والولع والعشق والغرام .

تقبلي يا صديقتي هذه الوردة .ضعيها في أصيص مجدك . اجعليها تنمو كما تزداد كتبك وقصائدك. و(بتلات) الورد حول ياقتك الزاهية . وكما تكبر أشجار الأرز فوق جبال الجنون التي تغطيها كلماتك وعذوبتك البيضاء .

بقيت لدي وردة ثالثة سأكون كاذبا لو لم أقدمها إلى هيفاء وهبي. والتي نالت الكثير من ازدراء المتجهمين العرب وتخلفهم .وكلماتهم البذيئة .سأمد يدي بهذه الوردة ولن أخشى أن يتهمني أحد بإشاعة الفتنة والرذيلة .لأنني في أعماق روحي سعيد أن تتجرأ فنانة عربية .وتضرب الجمهور بمؤخرتها الجميلة المتناسقة وجسدها الممشوق وقوامها المصقول وتمط شفتيها بغنج مستحب ودلال قاتل وصوت قادم من روح الغواية والبهجة والمرح . إلى هذه الفتاة الجريئة والتي قيل لها مرارا إن صوتك لا يملك طبقات تؤهلك لكي تصيري مطربة. فلم تسمع بهذه الإحباطات والتعقيدات التي يمارسها الكثير منا امام أية موهبة وأمام أي جديد ولا يريدون تكليف أنفسهم بتقبل الجديد لا على صعيد السياسة ولا على صعيد الفن ولا الثقافة .فما زلنا عبيد المتنبي وأحمد شوقي وام كلثوم وعبد الحليم . ومع محبتي لهم جميعا لكن الحياة لن تتوقف عند روايات نجيب محفوظ .ولا قصائد امل دنقل وصلاح عبد الصبور والسياب . والموسيقى لن تتجمد في إسطوانات عبد الوهاب وصوت سيد درويش وأغاني فيروز وموسيقى الرحابنة .

ولو كان مسموحا تقديم ورود الحب للرجال في هذا اليوم . لقدمت وردة رابعة للمفكر الحقيقي علي حرب والذي تقبل ظاهرة نانسي واليسا وهيفاء وهبي . ودافع عنهن بشكل أثار جدلا وسخط المتشبثين بالقديم والغابر والكلاسيك .

أعرف أنني بحاجة إلى الكثير من الورود الحمر. لنساء وصبايا رائعات فاتنات . يستحقن الحب قبل الورد .لكني سأترك للعديد من الأصدقاء الذين أحب. فرصة شراء وورود حقيقية مماثلة وتقديمها لمن يرغبون . وأنصح أن تكون النساء المختارات جميلات مثل عناية وجمانة وهيفاء .لأنهن ببساطة يمنحن الورد معنى .ويعطين القلب جرعة أضافية من أوكسجين الحرية .

سلامي

كم هي رائعة ورودك أيها الشاعر في يوم للحب، ولكنك تجاهلت الفرق بين العطاء وإثراء الأدب العربي المعاصر، والسقوط والانحدار لما وصلت إليه المؤدية هيفاء وهبي. المعيب في تقديم ورودك،أنك على ما يبدو بت تخلط بين الابداع وبين امرأة تعرض جسدها بعد انتهاء المدة المسموح لها في عرض الأزياء، دون تقديم أي ما يميزها، اللهم الأضواء والضجيج المحيط،وحركات الإثارة.

الرائعة جمانة درة قلوبنا جميعاً،والتي كما تفضلت،اخترقت المسافات، لتصبح سفيرة مثقفة تحمل ثقافة عميقة للعالم.وعناية جابر الكاتبة التي تبحر في فضاء عربي، ينقلنا معها أسلوب راق ونعومة مميزة إلى عالم يخدم رسالتها بجدارة يخدم النص ورسالتها.أما يا سيدي موسى حوامدة، فهيفاء وهبي لا تقدم الجديد المتميز، بقدر ما تجعل المرأة وكأنها بسوق نخاسة، تخجل أية امرأة أن تشاهد عرضها أمام الرجال. وهي أقل من ان تقيم كمطربة وأكثر من مؤشر يدل على انحراف وهبوط في الطرب العربي الأصيل. وكل جديد راق يفرض مكانته على الساحة الفنية بجدارة،لتذهب أدراج الرياح سقطات فنية، من شأنها ان تفسد الذوق والأخلاق. وأي عمل فني طربي يرتكز على ثلاث دعائم ضرورية لجعله مميزا ومحلقاً.فما هو الابداع في أغاني ثلة تقدمن للفن بأجسادهن وليس بخامة صوتية جديرة بالاحترام!

وجبة (الهمباراجر) تشبع يا سيدي، ولكنها لا تترك أثراً في تناول وجبة ممتعة،وهذا حال من قدمت لها وردتك الأخيرة. المطربة شادية وليلى مراد وغيرهما، خدمن انوثتهن الرقيقة وأصواتهن المبدعة الأغنية. وما يخبر الآن بإجماع الأكثرية ممن يتذوقون الفن الطربي، أن تلك المؤديات، ما هن إلا تناثر ظاهرة مرضية نتيجة الأزمة الأخلاقية المحضة التي تعاني منها شركات الانتاج، للترويج للمرأة بشكل مبتذل. فقد جعلت يا شاعرنا من تميزن بعطاء يثري ويزهر، ندى لأنثى الغزال تتأهب إلى اصطياد يخلو من حياء المرأة الجميلة بقيمها ورسالتها،بعرض جسدها على مرأى من العالم وبتأوهات تثير الرغبة. بعيدا عن مقارنة لصوت فيروز الملائكي، وسمو صوت أم كلثوم، فهما الاصالة التي تناسب كل وقت وجيل.فالأولى أن نسمي هذه الظاهرة بالفن الهابط، الذي يدل على تدني مستوى التذوق الطربي.فلا تخلط ثانية بين الطرب وهدف جمع الأموال والمعجبين!.

هناك مطربات عربيات يقدمن التميز الحق، مثل غادا وجوليا والصوت الجبلي نجوى كرم، لكنهن لم يثرن الغرائز بقدر ما يضفين متعة الاستماع إلى ما يقدمنه. حقيقة أنقض بل وانتقد هذه الظاهرة العبثية التي تفسد وتصم آذان الجيل الصاعد، فتضيع ملكة الإغماءة الوجدانية في عالم الدندنة والجمال الحقيقي.

عذرا أستاذي لا تخلط بين الابداع وتقديم جسد ليس إلا . فهل نعذر كبوة مبدع يدرك تماماً الغث من كل ما هب ودب والسمين؟! وشتان بين ثراء النفس وبين الرخص وتدني القيم والتذوق الرفيع المستوى

سوسن البرغوتي

الولادات الاولى.. والمشغل القصصي في البصرة

زياد مسعود

مثلما كبرت البصرة كبر الشعر في البصرة منذ زمن الفراهيدي ثم تغيرت الدنيا عبر القرون وتحول الحكواتي القديم الى قاص متمكن وكان للبصرة دورها الريادي في صياغة قصة عراقية متقدمة فنياً منذ ظهور العراق الحديث، العراق الذي كان مرفأه العتيد محجة اقوام وشعوب وحضارات ومصفاة اذكار وثورات وحروب وموسيقى ممباسا ومعزوفات الهيوه وتجولات (النوبان) وكان جيكور مهداً اولياً للسياب المجدد، وكانت الشعيبة مثار نقع الموت، حيث اصطدمت قوتا محمد سعيد الحبوبي الشاعر الشهيد الثائر واسلحته التقليدية بمدافع الانكليز حيث جرت بعد ذلك تحولات جديدة على الساحات السياسية والثقافية والعسكرية، في البصرة اختفى نوري السعيد الضابط العثماني المريض وتحرك منها الى الحجاز ليشارك مع الشريف حسين في صنع احلام تشظت ولكنها اسست لعراق حديث قاده فيصل الاول بعد ذلك، وفي البصرة تحرك مزاحم الباجه جي وكيلاً للشيخ خزعل سردار المحمرة المرشح لعرش العراق في وقت رشح فيه طالب باشا النقيب نفسه الى ذات العرش، وخسر الاثنان الجولة عل يد الإنكليز وانصرف الباجه جي للمناداة بالجمهورية (مبكراً) مع الميجر فيليبي الضابط الانكليزي الذي عارض حكومة الهند، ومكتب القاهرة لكنهما لم ينجحا فانتقل فيليبي الى وزارة الداخلية الوليدة مستشاراً ثم الى الحجاز ليكون مستشاراً لدولة جديدة هي السعودية فيما نقل الباجه جي البندقية الى الكتف الاخرى ليكون واحداً من رجال فيصل الاول.

من البصرة انتقلت نشاطات عائلة يوسف سلمان الى الناصرية حيث انتقل منها الى جامعة كادحي الشرق ليكون (فهد) المعروف تاريخياً وفي البصرة في عين تلك الايام الولادة من مطلع القرى العشرين ظهر نشاط سليمان فيضي محامي طالب النقيب واحد ابرز مثقفي البصرة ليكتب بعد هذا رواية مسرحية (الرواية الايقاظية)- وفي ايامها ايضا- بعد دخول الانكليز العراق انشغل الصحفي خلف شوقي الداودي بجريدة (الاوقات البصرية) ليكون محرراً بارزاً فيها وليكتب روائعه القصصية التي لم تقدر نقدياً حتى اليوم وابرزها (المخابر المحلي) وعشرات القصص الحديثة الاخرى اضافة لترجماته عن التركية، وفي الأربعينيات ظهرت مطبعة حداد والكثيرون المطابع الاخرى لكن يوسف يعقوب حداد، ابن البصرة المثقف اسهم اسهاماً فاعلاً في الكتابة القصصية وفي طبع عشرات الكتب الثقافية الاخرى حيث كان الملاذ الطباعي لاحلام شباب الادب الحديث امثال عبد الرزاق حسين ومحمد روزنامجي وغيرهما كثير.

كانت البصرة ولاتزال تشكل ثقلاً ابداعياً كبيراً مليئاً بالتجديد ومقاربة التحديث، ومثلما تعايش عبد اللطيف الدليشي مع المأثور الشعبي البصري وانصرف اليه ليجمعه ويوثقه حفاظاً على التراث الشعبي لهذه المدينة تعايش السياب مع الجانب الاخر من الفكر، مع التحديث بأجلى صورة وهو يرود تيار الشعر العربي الحديث ويقفز الى العالمية ولتتكون بعد ذلك على هداها وخارجها تجارب سعدي يوسف الشعرية واسلوبه الخاص في التحديث وتجارب محمد سعيد الصكار وعبد الكريم الكاصد واسماعيل فهد اسماعيل الابداعية كل في زمنها لترفد تجارب ردود حميد وريسان جاسم عبد الكريم.

وقبلها تجربة كارنيك جورج الموؤودة في حين نشط محمد عبد الوهاب ومهدي عيسى الصقر في بناء قصة قصيرة حديثة اعتنت بالنسق الداخلي للشخص وصولاً الى الرواية في تجربة الصقر الخاصة فيما ظهر بعد ذلك ونتيجة لكل هذا المخاض محمد خضير ليبني تجربة سردية كبيرة بدأت بـ (النيساني) في الستينيات لتظهر بعد ذلك مليئة بالسحر والتوتر والاصوات المشدودة والشخصيات المتلبسة الاشكالية في (المملكة السوداء) وما بعدها ليظهر محمد خضير حاجزاً كبيراً وتحدياً اكبر لمن يشرع من الشباب في كتابة القصة الحديثة لكن البصرة ظلت مشغلاً ثقافياً كبيراً وحاضنة ساخنة لتجارب التجديد عبر جماعة (١٢ قصة) ثم جماعة (البصرة اواخر القرن العشرين).

واليوم تظهر البصرة عبر المشغل القصصي الجديد طامحة الى دفع عجلة التجديد عبر تشكيل جماعة تعمل من اجل بناء تجربة فنية جديدة، فتحية للبصرة في كل زمان.